Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موسوعة الأديان القديمة

معتقدات آسيوية

(العراق - فارس - الهند - الصين - اليابان)

د. كامل سعفان

Bibliotheca Alexandrina
0011860 9

دار الندى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

معتقدات آسيوية

العراق – فارس – الهند

الصين – اليابان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م

حقوق الطبع محفوظة
ولا يجوز طبع أى جزء من هذا الكتاب أو خزنه بواسطة أى نظام خزن المعلومات أو استرجاعها أو نقله على أية هيئة أو بأية وسيلة سواء كانت إليكترونية أم شرائط ممغنطة أم غير ذلك ، أو أية طريقة معلومة أو مجهولة إلا بإذن كتابى صريح من الناشر .

دار الندى
٢٩ عمارات حدائق العبور - صلاح سالم - مدينة نصر
تليفون وفاكس : ٤٠٣٥١٣١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موسوعة الأديان القديمة

معتقدات آسيوية

(العراق - فارس - الهند - الصين - اليابان)

د. كامل سعفان

د. كامل سعفان

دار الندى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

عن الموضوعات التى تناولها الكتاب وجدت معلومات كثيرة مبعثرة متناقضة ، اختلطت فيها الحقيقة بالأسطورة ، فكان همى الجمع والتنسيق والنقد والتعليق .

وبما أن أكثر مصادر هذه المعلومات مترجم ، وأكثر المترجمات ليس مباشرا ، ولايقدم المعلومات كاملة ، ولا يحسن تنسيقها - فقد وجبت المقارنة بين المترجمات وصولا إلى الحقيقة ، أو إلى مايطمأن إليه ، إلى حد ما ، مع العناية بالنقد ، أو الحوار مع ما تقدمه هذه المصادر من نصوص .

وقد توخيت فى هذه الدراسة أن أدل على أن التعرف إلى الله قد يكون بمعرفة صفات الكمال ، كما يكون بسلب صفات النقص ، لكن الفلاسفة قد فضلوا سلب صفات النقص ، بحجة أن صفات الكمال نسبية ، وكذلك الشأن مع الأديان ، فلأن تضع صورة الدين فى المرآة فإنك لاتضيف جديدا ، فما أكثر من يفعلون ذلك ، إنما الأكثر تأثيرا وإقناعا هو مقارنة دين بآخر ، أو هو عرض السلبيات لإظهار الإيجابيات .

وهذا ما قصدت إليه فى الحديث عن معتقدات غير سماوية تعيش فى ساحة انتشار ديانات سماوية .

ثم إن المعتقدات غير السماوية - سواء كانت ترجع إلى جذور سماوية أو لا - أكثر دلالة على الحركة الفكرية ، والانبعاث الحضارى ، لأنها أقرب إلى التخلق الذاتى ، والتحقق الإرادى ، كما أنها أقرب إلى الانحراف ، وأجدر بالاختلاف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولو أنك تابعت سيْر التاريخ أو سيَره لعرفت أن هذه المعتقدات - مع ضعف بنيتها ، واعتمادها على الأساطير والخرافات - تتخذ من عوامل الضعف هذه قدرة على البقاء ، كالنبات اللين الذى يتخذ من لينه قدرة على الصمود فى وجه العواصف .

كما أن هذه المعتقدات أشبه بالنباتات المتسلقة التى تستطيع أن تحتوى فى تسلقها نباتات أقوى ، وقد تنسج حولها ستارا يحجب أصالتها ، ويُعطب ثمارها ، أو يُخْفيها .

ولاتزال الشعوب - بسبب من الجهل وسهولته ، وبسبب من الأساطير والأوهام التى تغذى المشاعر ، وتشبع فى الفطرة الإنسانية نزوعا إلى الخيال (السماديرى) وعشق الفناء - حريصة على اتخاذ الخرائب سبيلا إلى العرى ، وإلى الطيش ، وإلى جَلْد الذات .

ولايزال الوقوف على الأطلال ، ممثَّلة فى الآثار المادية ، والذكريات الإنسانية - أحبَّ إلى النفس من الوقوف عند القدرات الحضارية الحديثة ، لأن الماضى أفعل فى النفس من الحاضر ومن المستقبل ، لأنه يدغدغ مشاعر الفاشلين والمطحونين ، ومن تَنكبوا أيسر السبل وأقربها إلى النجاح .

إن أولئك الذين يعملون فى خدمة الموت ، من حفارى القبور المادية والمعنوية ، ومن صناع النعوش المادية والمعنوية ، ومن مثيرى الإحَن والحروب والأوبئة ، ومن الذين يتغذون على الإحن والحروب والأوبئة ، وأولئك الذين يَحْتفلون بالموت : جنازات ومآتم وقراءات وتلاوات وقرابين (وأفلام ڤيديو) وبناء قبور وتشييد أضرحة وإقامة احتفالات لسكان هذه الأضرحة ، وكثرة النذور والأوقاف ، إلى آخره ، إلى آخره - لاشك أنهم الغالبية العظمى من الشعوب ، وأنهم الأقدر على شغل الحياة بالموت .

انظر إلى مايكتبه (الكرام الكاتبون) فى خدمة الموت ، وتتبعْ إصدارات دور النشر - تجدْ الكتب الأكثر رواجا ، والأكثر ربحا ، هى الكتب التى تخدم الموت : بعثا وحشرا ، وأشراط الساعة ، وأهوالها ، والتداوى بالجن وبالسحر ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتداوى بالنصوص المقدسة ، وعذاب القبر ، وأهمية الحروب فى بناء الحضارات .

وانظر إلى تلك الشعوب التى تنفق أكثر الدخل القومى فى صناعة الأسلحة ، وفى شرائها ، وفى صناعة المخدرات ، وفى شرائها ، وفى إشعال الحروب الكيماوية والبيولوچية والنووية ، أو الاتجار فيها ، وفى احتكار أسلحة الدمار الشامل من أجل ترويج الدمار (العاقل) المقنن الذى لايصيب إلا الشعوب الأكثر إنجابا ، والأكثر غباء ، والأكثر فقرا .

إن خدمة الموت هم أعداء الحياة ، أعداء الحق والحرية والعدالة والخير والمحبة والمساواة ، أعداء كل القيم التى تجعل من الإنسان خليفة الله فى أرضه .

فإذا استطعتُ أن أكشف عن سراديب تتسردب من خلالها دعاوى إعلاء شأن الموت ، ودعاوى العدمية وعبثية الحياة ، ودعاوى الكفر بالخالق وبالمخلوق .

وإذا استطعت أن أدل على تلك الجرذان التى لاتزال تقرض الجذور الحضارية ، وتنشر الطاعون الأسود ، وتعيث فسادا (مقدسا) .

وإذا كان حسبى أن أدل على طريقة تفكير كثير من المذهبيين والفلاسفة وأدعياء (التنوير) أو (الاستنارة) - فعساى أكون قد وضعت شاهدا على الطريق . . وبالله التوفيق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العـــــراق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آفـــة التـــاريـــــخ

يكاد الأستاذ **طه باقر** أن يكون شيخ مؤرخى التاريخ العراقى القديم ، تَتَلمذَ عليه وعلى كتاباته أكثر المؤرخين العراقيين ، بل إن كتابه (مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة - مجلدان) يكاد يكون بمثابة المرجع الأول لدارسى التاريخ القديم ، والكتاب بحق يجمع من المعلومات - فى مجاله - مايعوز مصادر كثيرة ، لكن مايؤخذ عليه أنه خضع لمؤثرات خضع لمثلها كثير من المؤرخين العرب .

من هذه المؤثرات ارتباط الباحث بتاريخ بلاده ارتباطا عاطفيا ، على حساب الحقيقة العلمية أحيانا . . ومنها ثقة الباحث فى الكلمة المترجمة ، بحيث يُغفل وضعها على محكّ النقد ، والتقويم الصحيح .

وقد شاع بين دارسى الآثار القديمة (من المستشرفين) إشعار الآخرين بمدى الجهد الذى بذلوا ، وبالنتائج التى وصلوا إليها ، فكان أن أعلن المختصون بدراسة الآثار المصرية أن مصر (أم الدنيا) ، أو (فجر الضمير) ، وأنها حازت قصب السبق فى كل شئ ، وأعلن المختصون بآثار (وادى الرافدين) أن حضارة سومروأكد أقدم الحضارات ، وأن قوانين حمورابى أقدم القوانين ، وأن رحلة جلجامش أسبق الملاحم .

ومن المؤثرات أيضًا وقوع الباحث فى أسْر ما أتيح له من مصادر ، ومن ثم تتحكم فيه كثرتها ، كما تتحكم فيه قلتها .

حين عرض الأستاذ **باقر** للمقارنة بين حضارتى مصر والعراق قال (ص٢١ مج ١) : تعد الحضارة السومرية (أقدم الحضارات البشرية ، وأول حضارة أصلية لم تشتق من حضارة سابقة لها ، وإنما نمت من الأطوار البدائية فى عصور ماقبل التاريخ فى العراق) .

والقول بالأولية قول غير علمى ، لأنه يقوم على التمايز العرقى ، وصرامة الحكم ، وإغلاق باب المراجعة ، وإذا صح أن الأعراق البشرية متكافئة ، وأن البيئات هى التى تشكل الإنسان ، وأن عوامل التحدى هى التى تحركه وتنشط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملكاته ومواهبه ، فحيثما اتحدت البيئات أو تشاكلت ، وكلما اتحدت العوامل أو تشابهت - وجدت الحضارة . . وإذا تحقق اتصال حضارة بأخرى كانت القدرة على التطور بخطاً أوسع ، وهذا كله متمثل فى النباتات ، البيئات المتشابهة تخرج نباتات متشابهة ، وتطعيم النباتات أو تخليقها فى بيئة مزودة بمكونات جديدة يساعد على جودة ثمارها ، وكثرة إنتاجها .

ولم يكن هذا ليغيب عن الأستاذ **باقر** ، لكن (الحذر يؤخذ من مَأمَنه) كثيرا ، والطرق العريضة كثيرا ماتشغل عن المنحنيات والمزالق الجَانبية .

* لهذا يقول الأستاذ المؤرخ (ص ٧٨ مج ١) : (إن فيضان النيل يحدث فى وقت يستفيد منه الناس للزرع . والواقع أن زراعة القوم تبدأ من بعد الفيضان ، أما الحال فى دجلة والفرات فإن فيضانهما يقع فى الوقت الذى يتهيأ فيه البشر للحصاد وجَنْى الغلة ، هذا إلى عنف فيضانهما ، والحاجة للسيطرة عليهما إلى قوى وجهود بشرية عظمى) .

(ولقد أدى هذا الحال إلى أن تتصف الحضارة المصرية بالاعتداد والثقة بالنفس ، الاعتداد بإنجازاتها ، وشعورها بسيطرتها على القوى الطبيعية ، بحيث إنها جعلت رأس المجتمع الذى أنجز هذه السيطرة إلها ، أى أنها ألّهت ملوكها الفراعنة ، أما الملك فى حضارة الرافدين فلم يصر إلها ، بل كان بشرا اعتياديا ، يمتاز عن البشر الآخرين بأن الآلهة التى بيدها كل شئ فوّضته ليحكم البشر) .

هذا النص قد يتسم بسرعة الحكم ، أو بالخضوع لأحكام دارسى الآثار العراقية من المستشرقين . . وهذا النص كذلك يفنّد دعاوى السبق الحضارى للعراق ، لأن الحضارة تتبع الاستقرار ، ومادامت مصر أسبق سيطرة على مصدر حضارتها (النيل) ، فهى الأكثر استقرارا ، وهى الأسبق حضارة ، ثم إن النيل فى فيضانه لايوصف بالوداعة ، فهو شموس جموح ، لكن المصريين تعاونوا على ترويضه ، بتدعيم الجسور ، وإنشاء الترع والقنوات ، والسدود والخزانات ، والمقاييس ، وزرعوا الأرض على مدار العام ، فيما عدا مناطق كانت تروى برى الحياض ، وصورة (الشادوف) الذى ينضح المياه من أسفل إلى أعلى موجودة منذ فجر التاريخ . . وهذا هو السبق الحضارى الذى لاشك فيه ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأنه قام على أسس هندسية ورياضية وجغرافية ، وعلى إجادة مسح التربة ، ودراسة صلاحيتها للزراعة ، وكذلك على فن بناء السدود ، ونحت الأحجار ، ونقلها بواسطة هذا النهر العظيم ، وتبع هذا إجادة صناعة السفن ، وإجادة صناعة أدوات البناء ، وأدوات الزراعة ، وأدوات المعيشة ، بل وبناء الأهرامات ، فى رأى من يذهب إلى أن من دواعى بناء الأهرامات فيضان النيل الجامح الذى يغطّى مساحة شاسعة تنْبهم معالمها ، وتذهب بالحدود الفاصلة ، فكان البناء الهندسى للأهرام الذى غُطِّيَت سطوحه بأحجار جيرية لامعة وسيلة لهداية السفن ، ووسيلة لإعادة تخطيط الأراضى ، ووسيلة فَلكية كذلك ، بل وسيلة دفاعية أيضا (انظر كتابى « كنانة الله يافرعون ») ، وتبع هذا التطور الحضارى تدوين آثاره بالرسوم والصور والحروف . . وهذا مايبينه قول الأستاذ **باقر** : إن الكتابة حين ظهرت فى مصر (دونت بها حوادث تاريخية ، ويكون ظهور الكتابة فى مصر مرادفا لمصطلح العصور التاريخية) - ص ١٤ مج ١ - لأنه وُجد الحافز للتدوين فكانت الكتابة ، أما أن يرى أنه (فى العراق ظهرت الكتابة قبل أن تدون بالكتابة أمور مهمة) ، ليصل إلى أن الكتابة ظهرت فى مصر بعد العراق ، بنحو (ثلاثة قرون) - ص ١٤ مج ١ - فهذا يعد قفزا بين الأشواك !!

ويمضى فى هذا الزعم فيقول : (ذهب كثير من ثقات الباحثين فى أصول الحضارة إلى استنتاج أمور هامة تتعلق بأصول الحضارة المصرية فى أطوادها الأولى ، واقتباسها التأثيرات والحوافز الأولى من حضارة العراق القديم ، كاقتباس فكرة الكتابة ، أو الحافز عليها ، كما أظهر البحوث حديثا) - ص ٥٤ مج ١ - مع أنه يعلم أن الذين يتحدثون عن العميان والفيل يرجعون بهذا المثل إلى أصول مختلفة ، عربية ويونانية ، وقد نجد ما يرجع به إلى أصول فارسية وهندية وصينية ، وهذا المثل ينطبق تمام الانطباق على الباحثين فى الحضارات القديمة ، فكل قبيل بما لديهم فرحون ، مُعالنون ، مستصرخون .

* أما عن التأليه فأمر يرجع إلى الزهو البشرى ، والرغبة فى مزيد من الاستعلاء ، وإلى طبيعة النفاق التي تدفع الضعيف وذا الحاجة إلى ممالأة القوى ومن بيده الصولجان ، وإلى المتسلقين من الكهنة وأحلاس السلطان واللاّئذين به ، وإذا أدخَيْت العنان للجواد جمح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأستاذ **باقر** نفسه يقول : (لايمكن إغفال أن قوة الملك لم تعتمد على انتمائه إلى أصل إلهى فحسب ، وإنما هو نفسه من الآلهة . . كان الحكام يعتبرون آلهة الحماية لبلادهم ، وتمارس طقوس معينة فى تأليههم ، وتنحر الذبائح قربانا لهم ، من خلال الإدارة الذاتية . . والجباية ، والواردات من التجارة كلها كانت تصب كثرة ضخمة فى قصور ملوك أور) .

والتاريخ المصرى سجل ثورات ومؤامرات ضد الفراعنة ، ولو أن المصريين ظنوا الألوهية بالفراعنة مابنوا لهم قبورا ، ومانبشوا هذه القبور وسرقوا محتوياتها ، فضلا عن توابيتها ومومياواتها .

وكيف يستطيع المصريون (السيطرة على القوى الطبيعية ، ويلجموا الإله حابى (النيل) ، ثم يؤلهون إنسانا نشأ بينهم ؟

إن هذه الطبيعة التى سيطروا عليها وصفوها بالألوهية ، لأن هذا الوصف لايعنى أكثر من الإكبار ، والاعتراف بالفضل ، (فقط لاغير) .

وعلى فرض أن لفظ (التأليه) جرى على ألسنة المصريين فى عهود الاستبداد ، فإنه لا يصور معتقدات ، بدليل أن المهندس (أمحوتب) الذى بنى هرم سقارة لم يؤله إلا بعد موته ، وكان التأليه مجرد إشادة بذكره ، واعتراف بنبوغه وتفوقه . . وقد حدث مثل هذا مع الملك سنوسرت الذى آلهه تحتمس الثالث ، بسبب ما أقام من حصون جنوبى البلاد ، فى النوبة . . وهذا يعنى أن الألوهية اتسع مفهومها ، بحيث لم تعد مقصورة على القوة العُليا الخالقة المسيطرة ، أو أسىء نطق لفظها فى لغة (مصورة) .

يقول **جفرى بارندر** ، مؤلف (المعتقدات الدينية لدى الشعوب - ص ٢٨) : (الغالبية العظمى من نصوص بلاد مابين النهرين التى تروى عن دور الملك الرسمى فى العبادة ، تقول : إنه مثل الآلهة على الأرض ، أوإنه ينوب عنها ، وهى تتوقع منه أن يعامل الناس بالعدل ، وبلا محاباة) .

ويقول **كلنجل** فى كتابه (حمورابى ملك بابل وعصره - ص ١٠٣ / ١٣١) ، كان الملك ممثلا لرعيته أمام الآلهة . . بل إن (رام - سين) ملك أكد ،